25 سبتمبر 2009م

06 شوّال 1430هـ

تقوى الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ، ونستعين به ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقرارا بربوبيته، وإرغاما لمن جحد به وكفر، وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت اذن بخبر، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، وآل بيته الطيبين الطاهرين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارض عنا وعنهم يارب العالمين.

عباد الله:

بالأمس القريب ودعنا شهر رمضان الكريم، وهو موسم من مواسم الطاعات، ومن مواسم تجارة الآخرة الباقية، تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تجارة لن تبور، قد مر بنا شهر رمضان المبارك تربح فيه السنة تواب الفريضة، وتربح فيه الفريضة تواب السبعين فريضة، يربح فيه العمل في ليلة واحدة تواب العمل في ألف شهر، يفوز فيه أهل الإستقامة والصلاح برحمة الله ، ويحصل فيه المذنبون على مغفرة الله، ويعتق فيه أصحاب الكبائر التائبون من النار، من صام أيامه وقام لياليه إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه.

لقد مر بنا هذا الشهر بخيراته وعشنا أيامه ولياليه فلنحاسب أنفسنا ماذا ربحنا فيه وما مدى تأثيره في سلوكنا؟ هل ربحنا فيه أو خسرنا؟

كان السلف الصالح رحمهم الله حينما ينتهي رمضان يصيبهم الهم هل تُقبل منهم أم لا؟ فيدعون الله ستة أشهر أن يتقبل منهم رمضان فهم كما وصفهم الله بقوله: " والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون. أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون"

يخافون أن ترد عليهم حسناتهم أشد مما يخاف المذنبون أن يعذبوا بذنوبهم لأن الله تعالى يقول: "إنما يتقبل الله من المتقين"

عباد الله إن للقبول والربح في هذا الشهر علامات وللخسارة والرد أمارات وعلامات واضحة يعرفها كل إنسان من نفسه، " بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره" واعلموا أن من علامات القبول دوام الإستقامة واستمرار الطاعة وملازمة التقوى. فاتقوا الله عباد الله وراقبوا الله في السر والعلانية، واعلموا أن الله وصى المؤمنين بما وصى به أهل الكتاب فقال عز من قائل " ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم ان اتقوا الله"

ففي هذه الآية الكريمة وصى الله سبحانه وتعالى جميع خلقه الأولين والآخرين بأن يتقوه وخص سبحانه المؤمنين بوصية التقوى فقال " ياأيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون" . وقال عز من قائل " يايها الذين ءامنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون" الحشر . قال طلق بن حبيب " التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله" . فالتقوى أيها الأخوة هي أساس الفيوضات

والأنوار والعطاء. والتقوى كما عرفها بعض العلماء " أن لا يراك الله حيث نهاك، وأن لا يفقدك حيث أمرك "

إهتمام الصحابة بالتقوى

ومن هنا كان اهتمام الصحابة والسلف الصالح بالتقوى حيث كانوا يتحققون بها، ويجتهدون لها ويسألون عنها فقد ثبت أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه سأل "أبي بن كعب" عن التقوى فقال له: أما سلكت طريقا ذا شوك؟ قال بلى! قال فما عملت؟ قال شمرت واجتهدت. قال فذلك التقوى.!!

قال الشاعر:

خل الذنوب صغيرها *** وكبيرها ذاك التقى

واصنع كماش فوق *** شوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة *** إن الجبال من الحصى

وقال آخر:

إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى *** تقلب عريانا وإن كان كاسيا

وخير لباس المرء طاعة ربه *** ولا خير فيمن كان لله عاصي

قال الحسن البصري رضي الله عنه: " مازالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرا من الحلال مخافة الوقوع في الحرام" وقد ذكرت التقوى في كتاب الله في أكثر من مائتين وخمسين موضعا بل إنه قد تكرر الأمر بالتقوى في الآية الواحدة مرتين أو ثلاثا قال تعالى: " ياأيها الذين ءامنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله..." الحشر 18.

وقال تعالى: "ليس على الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وءامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وءامنوا ثم اتقوا وأحسنوا" المائدة 93.

والمتقون هم أولياء الله وأحبابه قال تعالى: " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين ءامنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ذلك هو الفوز العظيم" يونس 64.

والمتقون هم أكرم الناس عند الله تعالى : " إن أكرمكم عند الله أتقاكم" الحجرات 13.

فالتقوى أيها الأخوة الأحباب هي الزاد الحقيقي وعليه مدار التفضيل والتكريم والتفضيل. فالميزان الحقيقي الذي يُوزن به الناس هو ميزان الله سبحانه وتعالى ، هو ميزان مالك الملك وملك الملوك. ولذلك لما مر أمام النبي صلى الله عليه وسلم غني ذو أبهة، ويلبس حلة جميلة، سأل الصحابة " ما تقولون في هذا؟ " قالوا حريٌّ إن تكلم ان يُسمع، وإن نكح ان يُنكح، وإن شفع أن يُشفع، .. ثم مر بعد ذلك رجل فقير " ،قال : " وما تقولون في هذا؟ " قالوا : حري إن تكلم أن لا يُسمع، وإن نكح أن لا يُنكح، وإن شفع أن لا يُشفع، فقال صلى الله عليه وسلم : " لهذا - يعني هذا الفقير - خير من ملء الأرض من مثل هذا" صحيح رواه البخاري في كتاب النكاح.

إذا مقاييس البشر لا تنفع، وإنما المقاييس مقاييس رب البشر سبحانه وتعالى. ولذلك من الممكن أن نجد إنسانا فقيرا جدا ومعدما، لكنه عند الله عز وجل لو أقسم على الله لأبره كما جاء في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " رُب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره" رواه مسلم.

وفي رواية التِرمذي بسند صحيح، قال قال صلى الله عليه وسلم : " كم من أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره منهم " البراء بن مالك" .رواه الترمذي بسند صحيح وصححه الألباني رحمه الله.

وفي معركة تُستر كما في الحاكم بسند صحيح حاولوا فتح المدينة فلم يستطيعوا ، فذهبوا إلى البراء بن مالك- وهو أخو أنس بن مالك رضي الله عنه- وقف البراء بن مالك وقال : " اللهم إني أقسم عليك أن تنصر جند المسلمين وأن ترزق البراء الشهادة في سبيلك" فنصر الله جند المسلمين ورزق البراء الشهادة في سبيله" . إذا ليس الآمر بمقاييس البشر. وإنما يكون الميزان بميزان الله . بل هذا سيدنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه كما في مسند الإمام أحمد بسند صحيح: يصعد على شجرة الآراك ليقتطع للنبي صلى الله عليه وسلم سواكا وكانت سيقانه دقيقة، فاهتزت الأغصان فانكشفت سيقانه فضحك الصحابة، فقام النبي صلى الله عليه وسلم بتصحيح المفاهيم، فقال: " مم تضحكون أو مم تعجبون ؟" قالوا نضحك أو نعجب من دقة ساقيه، قال: " والذي نفسي بيده إنهما في الميزان يوم القيامة أثقل من جبل أحد" حديث حسن رواه أحمد وصححه اللباني في الصحيحة.

وأورد الإمام إبن الجوزي في زاد المسير : عندما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة في يوم فتح مكة أمر بلالا أن يصعد فوق الكعبة وأن يؤذن للصلاة ، فيقول أحد المشركين : أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود حتى يؤذن فوق الكعبة. فينزل قول الله عز وجل: " إن أكرمكم عند الله أتقاكم".

هذا أيها الأخوة هو المقياس الرباني، ليس مقياس البشر وإنما مقياس رب البشر، وفي المقابل كما في صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم : " إنه ليأتي الرجل السمين العظيم، فيوضع في الميزان يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة" . لكم أن تتخيلوا هذا أيها الأخوة. فأعظم وصية أوصي بها نفسي وإياكم هي تقوى الله لا عز وجل.

قال صلى الله عليه وسلم " يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا

بالتقوى أبلغت؟" قالوا بلغ رسول الله. وكان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يوصي أصحابه بالتقوى ويبدأ بها خطبه ووصاياه. روى مسلم في صحيحه من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه أنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا امر اميرا على جيش او صاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرا". وقال للصحابي أبي ذر كما في الترمذي "إتق الله حيثما كنت" الحديث رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

وأقول قولي اذا وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه أجمعين.

<u>الدعاء:</u>

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق، ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك ونتوب إليك، اللهم اهدنا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا

رب العالمين، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك ، اللهم بفضلك ورحمتك أعلِ كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام ، وأعز المسلمين، انصر المسلمين في كل مكان، وفي شتى بقاع الأرض يا رب العالمين، اللهم أرنا قدرتك بأعدائك يا أكرم الأكرمين

والحمد لله رب العالمين.